الثقة بالله

وأهميتها في حياة المسلم

أ.هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

إن الله عَزَّوَجَلَّ خلق الله الخلق جميعًا لغاية واحدة؛ لعبادته وحده لا شريك له قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقد بين لهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كيفية العبادة، ووضَّح لهم صفتها، وفصَّل لهم أنواعها، فهناك عبادات ظاهرة بالجوارح؛ كالصلاة والصيام، وما إلى ذلك، وعبادات باطنة قلبية كالخوف منه، والتوكل عليه، والرضا به والتوكل عليه، وما أشبه ذلك، إن أعمال القلوب واجبة على كل مسلم تمامًا مثل أعمال الجوارح، بل أعمال القلوب آكد من أعمال الجوارح، فالعبادات القلبية هي أصل العمل، هي أساس كل عبادات الجوارح، ومن هذه العبادات القلبية التي تعبَّد الله بها عباده: الثقة به، وصدق الاعتماد عليه، وحسن التوكل عليه، وتفويض الأمور إليه.

إن الثقة بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والاعتماد عليه في جلب المنافع ودفع المضار، وحصول الأرزاق وحصول النصر على الأعداء، وشفاء المرضى وغير ذلك؛ من أهم المهمات وأوجب الواجبات، ومن صفات المؤمنين، ومن شروط الإيمان، ومن أسباب قوة القلب ونشاطه، وطمأنينة النفس، ومن أسباب الرزق، والثقة بالله وبكفايته لعبده من أهم عناصر عقيدة المسلم الصحيحة.

وهذه الثقة لا يُفهم منها أنها مجرد كلمة تقال باللسان، ولا تعيها القلوب، ولا تفهمها العقول، بل إن المسلم يفهم الثقة بالله أنها جزء من إيمانه وعقيدته، وأنها طاعة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وثقة المسلم بالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ تشمل كل جوانب حياته، المسلم يجعل ثقته بالله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أمام عينيه في كل صغيرة.

كما أن الثقة بالله صفة من صفات الأنبياء؛ فخليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما ألقي في النار كان على ثقة عظيمة بالله؛ فماذا كانت النتيجة؟ كفاه الله شر ما أرادوا به من كيد، وحفظه من أن تصيبه النار بسوء، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠].

ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان على ثقة كاملة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن ذلك ما كان في هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المدينة واختبائه بغار حراء، ومع قرب المشركين منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يثق أن الله سينجيه منهم ويقول لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما».فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي الغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ المشْرِكِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا**»(١).

والثقة أيضاً صفة من صفات الأولياء الصادقين؛ قال يَحْيَى بْنَ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللهُ: "**ثَلَاثُ خِصَالٍ مِنْ صِفَةِ الْأَوْلِيَاءِ: الثِّقَةُ بِاللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَالْغِنَى بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**"(٢).

وهي كذلك صفة من صفات العباد الزهاد، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى حَاتِمٍ الْأَصَمِّ رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَيُّ شَيْءٍ رَأْسُ الزُّهْدِ وَوَسَطُ الزُّهْدِ وَآخِرُ الزُّهْدِ؟ فَقَالَ: "**رَأْسُ الزُّهْدِ الثِّقَةُ بِاللهِ وَوَسَطُهُ الصَّبْرُ وَآخِرَهُ الْإِخْلَاصُ**"(٣).

فالثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عبادة عظيمة، ونعمة ثمينة، تفتح باب الأمل للمسلم، وتغلق عنه باب اليأس، وتوجب حسنَ التوكل، والإخلاصَ في العمل، والتفويضَ الأمر لله فيما قضاه ، فالواثق بالله لا تهزه رياح المصائب والمحن، بل تزيده رسوخًا ورضاً، فيكون بعيدا عن سوء الظن بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والشك في حصول فَرَجِه، فثقته تجعله يوقن ويثق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنه سيجعل له فرجًا ومخرجًا بكن فيكون فيبقى مطمئنا منشرح الصدر راض بحكم الله الحكم العدل سبحانه وتعالى، فهو يعلم أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحي القيوم ، المستعان، فيعتمد على قدرته وقوته وإعانته وحده لا شريك له.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨١).
(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٢/٣٥٤) برقم (١٠٤٨).
(٣) حلية الأولياء للأصبهاني (٨/٧٥).

فالله وحده هو الذي بيده كل شيء، والمستعان في كل شيء، والعبد ليس بيده شيء، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٢٣].(١)

وقد غفل أكثر الناس في هذا الزمان عن هذه المعاني الجميلة، بسبب انشغالهم بمتاع الدنيا، وزينتها الفانية، بل وسيطر اليأس على نفوس البعض منهم؛ لعدم ثقتهم بخالقهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعدم يقينهم بأن مقاليد الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبسبب ضعف الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فشى القلق والاكتئاب وكثرت الأمراض النفسية بين الناس، ويعاني الكثير اليوم من أنواع الهموم والغموم والأحزان في زمن صُبت عليهم النعم صباً، ونرى ونسمع عن تعلق المخلوق بمخلوق مثله، حتى أصبح يخشاه ويرجوه ويخافه، وظهرت في هذه الأزمنة دعوات ودورات تدعو إلى تعزيز الثقة بالنفس، تزرع فيه الاعتماد على قدراته وقوته بنفسه، وأن من خلال ثقته بنفسه يستطيع فعل الأعاجيب! أين الثقة بالله؟ والله لا حول ولا قوة لبشر كائن من كان إلا بالله العظيم، بل كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهُمَّ رحْمتَك أرجُو، فلا تكلْني إلى نَفْسي طرْفَةَ عَينٍ**»(٢)، فالسعادة بيد الله والرزق بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وصلاح الذرية بيده، وتوفيقهم بيده، والعافية بيده، والشفاء بيده، الخير كله بيده: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، فكيف يثق الإنسان بنفسه دون الله عَزَّوَجَلَّ؟!

---

(١) موسوعة فقه القلوب للتويجري (٣٠٤/١)، بتصرف.

(٢) رواه أبو داود في سننه برقم (٣٢٨٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٣٨٨).

﴿ أهمية الثقة بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في حياة المسلم ﴾

ويمكن تلخيص أهمية الثقة بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وثمارها في النقاط الآتية:

١- الثقة بالله تزيد من الإيمان في قلوب عباد الله المؤمنين:

فهي حلاوة الإيمان، وألذ ما يكون فيها، ففيها تفاضَل المؤمنون، وتنافسَ المتنافسون، فالمؤمن دائماً على ثقة كاملة بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما أخبر النبي المصطفى عليه أفضل الصلوات والتسليم.

٢- الثقة بالله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ **هي لب الدين،** وتزيد المسلم قرباً وحباً من الله، على العبد أن يجتهد حتى يصل إلى تلك المنزلة ويحُسن الظن في مولاه مهما كانت الأحوال، وإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لا يضيع عبده المؤمن.

٣- الثقة بالله جَلَّ وَعَلَا **مصدر للسكينة،** ومصدر لانشراح الصدر، وهي دواء للقلق عند حصول الشدائد والتعرض للمخاوف، فالثقة توجب زيادة الإيمان، وقوة اليقين، والثبات، ولهذا أخبر سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن إنزال السكينة على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ وعلى المؤمنين في مواضع القلق والاضطراب، وذلك لكمال ثقتهم بربهم، ويقينهم بأنه معهم ناصرهم ومعينهم، ويتضح ذلك في مواضع كثيرة مر بها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِۦ وَسَلَّمَ وأصحابه، من ذلك: يوم الحديبية حين اضطربت قلوبهم من تحكم الكفار عليهم، ودخولهم تحت شروطهم التي لا تحتملها النفوس، والله جَلَّ وَعَلَا يقول في كتابه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [الفتح:٤]، وما كان إنزال السكينة على المؤمنين في أوقات المحن؛ إلا لكمال ثقتهم بربهم وتيقنهم الكامل بأنه لن يضيعهم، وأنه لا يقدِّر لهم الأمورَ عبثًا؛ بل إنما يقدرها لهم لحكمة اقتضاها رب العباد لهم لكي يربيهم على التقوى، والثقة به، والاعتماد عليه في إسناد وتفويض الأمور إليه بعد الأخذ بالأسباب.

٤- من وثق بالله نجاه الله من كل كرب أهمه:

قال أَبو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَضَى عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ مَنْ آمَنَ بِهِ هَدَاهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ:** ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾ **، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ:**

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾، وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَازَاهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنْ عَذَابِهِ أَجَارَهُ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ﴾، وَالِاعْتِصَامُ الثِّقَةُ بِاللهِ، وَمَنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ فكن واثقًا بالله، متوكلًا عليه، معتصمًا به"[١].

٥- من تحلى بالثقة بالله فقد فاز بالجنة:

قال شَقِيقٌ الْبَلْخِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"مَنْ عَمِلَ بِثَلَاثِ خِصَالٍ أَعْطَاهُ اللهُ الْجَنَّةَ: أَوَّلُهَا مَعْرِفَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَسَمْعِهِ وَجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقُ مِمَّا فِي يَدَيْهِ، وَالثَّالِثُ يَرْضَى بِمَا قَسَمَ اللهُ لَهُ وَهُوَ مُسْتَيْقِنٌ أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُحَرِّكُ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِهِ إِلَّا بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عِنْدَ اللهِ فَذَلِكَ حَقُّ الْمَعْرِفَةِ"**[٢].

﴿ مواقف تظهر فيها حاجة المسلم إلى الثقة بالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ﴾

١. ثقة المسلم بالله جَلَّ وَعَلَا في تفريج الكربات:

الحياة الدنيا مليئة بالمحن والمتاعب، والبلايا والشدائد والنكبات، إن صفت يومًا كدرت أيامًا، وإن أضحكت ساعة أبكت أيامًا، لا تدوم على حال، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٠].

فقر وغنى، عافية وبلاء، صحة ومرض، عزّ وذل، فهذا مصاب بالعلل والأسقام، وذاك مصاب بعقوق الأبناء، وهذا مصاب بسوء خلق زوجته وسوء عشرتها، وتلك مصابة بزوج سيء الأخلاق، فظ الخلق، سيء العشرة، وثالث مصاب بكساد تجارته وسوء جيرانه، وهكذا إلى نهاية سلسلة من الآلام التي لا تقف عند حد.

---

(١) حلية الأولياء (٢/٢٢١).

(٢) المصدر السابق (٨/٦١).

ولا يزيل هذه الآلام، ويكشف هذه الكروب إلا الله علام الغيوب الذي يجيب المضطر إذا دعاه، وكم من شدة وكرب عظيم ظنَّ العبد أنه لا مخرج لها ولا منجى منها، لكن عندما وثق في مولاه، وتذكر قدرته جلَّ في علاه النجاه.

المسلم حاله في البأساء: الصبر والإنابة إلى الله، قدوته في ذلك سيد المرسلين، وإمام الصابرين، فقد حلَّ به وبأصحابه الكرام من الشدائد والمحن والابتلاء ما تقشعر منه الأبدان، فما وهنوا، وما ضعفوا، وما استكانوا، بل قابلوا تلك المحن بالصبر والثبات، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

وكم قصَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من قصص تفريج كربات أنبيائه عند حلول الكرب عليهم؛ كإنجاء نوح ومن معه في الفلك، وإنجاء إبراهيم من النار، وفدائه لولده الذي أمر بذبحه، وإنجاء موسى وقومه من اليمّ، وإغراق عدوِّهم، وقصة أيوب ويونس، وقصص محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ مع أعدائه، وإنجائه منهم، كقصته في الغار، ويوم بدر، ويوم أحد، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، وغير ذلك[(١)].

هؤلاء رسل الله ووحدوه جل في علاه فأنجاهم في حال اضطرارهم ومكنهم وأبدلهم من بعد خوفهم أمناً، فصاحب التوحيد نفسه مطمئنة حتى في أشد المواقف، وأصعب الظروف، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إنَّ ابْتِلاءَ المُؤمِنِ كَالدَّواءِ لَهُ يَستَخْرِجُ مِنهُ الأَدواءَ التي لَو بَقِيَتْ فيه أَهلَكَتْهُ أَو نَقصَتْ ثَوَابَهُ وَأَنْزلَتْ دَرَجَتَهُ، فيستَخْرِجِ الابْتِلاءُ والامتِحانُ مِنْهُ تلكَ الأدواءَ، ويَستَعِدَ بَهَ لتمامَ الأَجْرِ وعُلُّوِ المَنزِلَةِ، وَمَعْلومٌ أَنَّ وُجُودَ هَذَا خَيْرٌ للمُؤمِنِ مِنْ عَدَمِهِ، كَمَا قَالَ النَّبيُّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ. إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ. فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ. وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ»، فَهَذَا الابتلاءُ والامتَحَانُ مَنْ تَمَامِ نَصْرِهِ وَعِزِّهِ وَعَافِيَتِهِ، وَلِهَذَا كَانَ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الأنبياءَ ثُمَّ الأَقْرَبُ إِليهِم فَالأَقْرَب، يُبْتَلَى المَرءُ عَلَى حَسْبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةً شَدَّدَ عَلَيهِ**

---

(١) انظر: جامع العلوم والحكم (ص٤٢).

البَلاءَ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خَفَّفَ عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ البَلاءُ بالمُؤمِنِ حَتَّى يمشِي عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيْئَةٌ"(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فَإِن قُلْتَ: فَبِأَي شَيْء أَستَعِينُ عَلَى التَّجَرُّدِ مِنَ الطَّمَعِ وَمِنَ الْفَزعِ؟ قُلتُ: بِالتَّوْحِيدِ، والتَّوكُلِ، والثِقَةِ بِاللّه، وَعِلْمِكَ بِأَنَّهُ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إلا هُوَ، وَلَا يَذهَبُ بالسَّيِّئاتِ إِلَّا هُوَ، وَأَنَّ الْأَمرَ كُلهُ للهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ مَعَ الله شَيْء"(٢).

وقد جاءت العديد من النصوص الشرعية التي تدعو المسلم وتؤكد عليه ضرورة الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في تفريج الكربات، ومن هذه النصوص قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ * قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣-٦٤].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٦٢-٦٣].

فالمضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأً إلا الله، المضطر يجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص، لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجيه سوا الرب ، ففي هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوي الذي لا يعجزه شيء ، يلجأ إلى المغيث الذي بيده كل شيء، فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه، هو وحده دون سواه، يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيق.

والناس يغفلون عن هذه الحقيقة في ساعات الرخاء، وفي فترات الغفلة، يعتمدون على قوتهم، أو على قوة غيرهم من البشر، وأما حين تلجئهم الشدة، ويضطرهم الكرب، فتزول عن فطرتهم غشاوة الغفلة، ويرجعون إلى ربهم منيبين، أذلاء، مضطرين إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مهما كانوا من قبل غافلين أو مكابرين.

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/١٨٨).

(٢) المصدر السابق (ص١١٦).

أدعية الكرب في السنة:

ومما يدل من السنة على الثقة بالله في تفريج الكرب؛ ما جاء عن أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ –أَوْ فِي الْكَرْبِ–؟ اللَّهُ اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»[١].

وهذا الحديث فيه ثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ وتعظيم له عند الكرب، فكون المسلم يدعو بهذا الدعاء فهو يريد التخلص من الشيء الذي يهمه بتوحيده لخالقه جَلَّ جَلَالُهُ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**»[٢].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْقِي يَقُولُ: «**امْسَحِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ**»[٣].

وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»[٤].

إن كل المعاني والنصوص السابقة تؤكد للمسلم ضرورة وأهمية الثقة في الله تفريج كل كرب وشدة مهما عظمت، فالله عَزَّ وَجَلَّ قادر على دفعها بكن فيكون ، بلمح البصر ، فالأمر أمره والقضاء قضاؤه، والخلق خلقه ، بيده كل شيء ولا يعجزه شيء، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

---

(١) رواه أبو داود في سننه برقم (١٥٢٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٥٢٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٤٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٥٧٤٤).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/٢٤٦) برقم (٣٧١٢)، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه للمسند.

٢. ثقة المسلم بالله جَلَّوَعَلَا في التكفل بالرزق:

ومن ثقة المسلم بالله تَبَارَكَوَتَعَالَى أنه يثق أن الله عَزَّوَجَلَّ متكفل برزقه، وأن على الإنسان أن يأخذ بالأسباب التي تجلب الرزق، ويثق أن الله سيعطيه ما قدر له من رزق، ولن ينقص منه شيئًا.

وقد دلت الكثير من النصوص الشرعية على أهمية الثقة بالله في التكفل بالأرزاق، وأن جميع المخلوقين قد ضَمِنَ اللهُ رزقهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أي: جَمِيعُ مَا دَبَّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، مِنْ آدَمِيٍّ، أَوْ حَيَوَانٍ بَرِّيٍّ أَوْ بَحْرِيٍّ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ، فَرِزْقُهَا عَلَى اللَّهِ.** ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ **أَيْ: يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّ هَذِهِ الدَّوَابِّ، وَهُوَ: الْمَكَانُ الَّذِي تُقِيمُ فِيهِ وَتَسْتَقِرُّ فِيهِ، وَتَأْوِي إِلَيْهِ، وَمُسْتَوْدَعُهَا: الْمَكَانُ الَّذِي تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ فِي ذَهَابِهَا وَمَجِيئِهَا، وَعَوَارِضُ أَحْوَالِهَا.** ﴿كُلٌّ﴾ **مِنْ تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهَا** ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ **أَيْ: فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الْمُحْتَوِي عَلَى جَمِيعِ الْحَوَادِثِ الْوَاقِعَةِ، وَالَّتِي تَقَعُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، الْجَمِيعَ قَدْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُ اللَّهِ، وَجَرَى بِهَا قَلَمُهُ، وَنَفَذَتْ فِيهَا مَشِيئَتُهُ، وَوُسِعَهَا رِزْقُهُ، فَلْتَطْمَئِنَّ الْقُلُوبُ إِلَى كِفَايَةِ مَنْ تَكَفَّلَ بِأَرْزَاقِهَا، وَأَحَاطَ عِلْمًا بِذَوَاتِهَا وَصِفَاتِهَا**"(١).

فما من نوع من أنواع دواب الأرض أو البحر أو الجو إلا على الله رزقها ومعيشتها وغذاؤها المناسب لها، وهذا دليل على أن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَى متكفل بأرزاق المخلوقات كلها، كما قال تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠].

ومن الآيات التي تدل على ضرورة أن يثق المسلم في تكفل الله برزقه قوله تَبَارَكَوَتَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لهذه الآية: "**أَيْ: فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا، إِلَّا**

---

(١) تفسير السعدي (صـ٣٧٧).

أَنْ يُيَسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ". ثم ساق حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوح بِطَانًا»(١). ثم قال: فَأَثْبَتَ لَهَا رَوَاحًا وَغُدُوًّا لِطَلَبِ الرِّزْقِ، مَعَ تَوَكُّلِهَا عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ المسَخِّر الْمُسَيِّرُ الْمُسَبِّبُ"(٢).

فلا تشغل همَّك بما ضُمِنَ لك من الرزق، فرزقك لن يغدو لغيرك، ورزقُ غيرِكَ لن يصلك، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

لا يأكلُ أحدٌ رزقَ أحد، ولا يزاحمُه فيه، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٨-٩].

وخزائن رزقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تنفد: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، فمن الذي رزق الحوت في قاع البحار؟ والنملة في أعلى الجبال؟ ومن الذي أسقى الزروع التي أنبتت لنا أحلى الثمار، مختلفة الألوان والطعوم والأحجام إلا الله؟!.

فثقة المسلم بأن الرزق بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تجعله يطلب الرزق والسعة منه، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق الإنسان وهو كفيل برزقه، فتلك الثقة تجعل الإنسان مطمئناً لوعده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في تحقيق الرزق له، فيفرغ قلبه لعبادة ربه، ويزيح عن كاهله الكابوس الذي يشغل باله من هم الرزق، والحرص على حصوله، فيصبح ويمسي وهمه طاعة الله وعبادته، ومصداق ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»(٣).

وينبغي أن لا يتطلع الإنسان إلى ما بيد غيره، فالذي أعطاه هو الله، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو الذي يقسم الرزق بين الناس، فيوسع على من يشاء من عباده ويضيق على آخرين لحكمة يراها هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد تغيب عن عباده، فلا تخشوا الفقر، وانشغلوا بما خلقتم لأجله، لا بما خُلق لأجلكم

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١/٢٥٢) برقم (٢٠٥)، والترمذي في سننه برقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه في سننه برقم (٤١٦٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣١٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/١٧٩).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٦٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٥١٠).

لتعبدوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع أداء حق المال من الصدقات الواجبة والمستحبة، واحذروا من أن تتوهموا أن الإنفاق ينقص الرزق، بل وعد سبحانه بالخلف للمنفق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

فما من نفقة تنفقونها بوجه من أوجه النفقة سواء كانت نفقة واجبة، أو مستحبة، إلا وسيعوضها الله عليكم بدلاً منها مالاً في الدنيا، وثواباً في الآخرة ولا شك في ذلك كما وعد الرزاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣. ثقة المسلم بالله جَلَّ وَعَلَا في النصر على الأعداء:

ومن ثقة المسلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثقته بوعده تَبَارَكَ وَتَعَالَى له بالنصر، وأنه جَلَّ وَعَلَا المدافع عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:٣٨]، وأنه وليه، ومنجيه من ذاك العدو المتغطرس المتجبر؛ وذلك لاستعانة العبد بالله جَلَّ وَعَلَا، ووثوقه الكامل بوعده، وأنه لا يخلف الميعاد، وكيف لا يثق المؤمن بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهو يخبره بأن لا يحزن، ولا ييأس، وأن العزة والعلو له إن حقق الإيمان الكامل به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

فالمؤمن الواثق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبوعده وبنصره لا يجد مكانة للحزن، والهوان، واليأس في قلبه؛ لأنه يعلم يقيناً أن من استخلفه على هذه الأرض وقام بحق الرب فإنه ولابد أن يحقق له الوعد وأن ينصره، وأن الغلبة والتمكين حتماً له، ما دام مستعيناً به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومنيباً إليه، وواثقاً به، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥]، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: **"هَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ، أَيْ: أئمة النَّاسِ والولاة عَلَيْهِمْ، وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلَادُ، وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ، وليُبدلَنّ بَعْدَ خَوْفِهِمْ مِنَ النَّاسِ أَمْنًا وَحُكْمًا فِيهِمْ، وَقَدْ فَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذَلِكَ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ رَسُولُ اللَّهِ**

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ، وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا"[(١)].

فالمسلم موقن وواثق بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ناصره، وناصر دينه مهما طال الزمن، ومهما قويت شوكة الباطل، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

ومن ثقة المسلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه يثق في النصر على الأعداء، طالما أخذ بالأسباب، واستعان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن النماذج التي تؤكد هذه الثقة:

ثقة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بربه في غزوة بدر، وذلك حيث كان عدد المشركين أكثر من عدد المؤمنين، ولكن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان واثقاً في نصر الله له.

"أما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فكان منذ رجوعه بعد تعديل الصفوف يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول: «اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم إني أنشدك عهدك ووعدك»، حتى إذا حَمِيَ الوَطيس، واستدارت رحى الحرب بشدة واحتدم القتال، وبلغت المعركة قمتها، قال: «اللَّهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدًا». وبالغ في الابتهال حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق، وقال: حسبك يا رسول الله، ألححت على ربك.وأوحى الله إلى ملائكته: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٣]. وأوحى إلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩]. أي إنهم رِدْفٌ لكم، أو يردف بعضهم بعضاً أرسالًا، لا يأتون دفعة واحدة.

وأغفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إغفاءة واحدة، ثم رفع رأسه فقال: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النَّقْعُ» وفي رواية ابن إسحاق: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، وعلى ثناياه النَّقْعُ».

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/٧٧).

ثم خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ من باب العريش وهو يثب في الدرع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر:٤٥]، ثم أخذ حفنةً من الحصباء، فاستقبل بها قريشًا وقال: «شاهت الوجوه» ورمى بها في وجوههم، فما من المشركين من أحد إلا أصاب عينيه ومنخريه وفمه من تلك القبضة، وفي ذلك أنزل الله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:١٧].(١)

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فقد بيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن النصر لا يكون إلا من عنده في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

وأمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ المؤمنين أن يتذكروا دائمًا تلك النعمة العظيمة؛ نعمة النصر في بدر، ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].

٤. ثقة المسلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في استجابة الدعاء:

دلت نصوص الكتاب والسنة على أهمية الدعاء، وضرورة أن يثق المسلم في ربه في استجابة الدعاء، فالدعاء له أهمية كبيرة في حياة المسلم، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِذَلِكَ: وَإِذَا سَأَلَكَ يَا مُحَمَّدُ عِبَادِي عَنِّي أَيْنَ أَنَا؟ فَإِنِّي قَرِيبٌ مِنْهُمْ أَسْمَعُ دُعَاءَهُمْ، وَأُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي مِنْهُمْ"**(٢).

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

---

(١) انظر: الرحيق المختوم للمباركفوري (صـ١٨٦).

(٢) جامع البيان (٣/٢٢٢).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هَذَا مِنْ فَضْلِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَكَرَمِهِ أَنَّهُ نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَى دُعَائِهِ، وَتَكَفَّلَ لَهُمْ بِالْإِجَابَةِ، كَمَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: يَا مَنْ أحبُّ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ سَأَلَهُ فَأَكْثَرَ سُؤَالَهُ، وَيَا مَنْ أَبْغَضُ عِبَادِهِ إِلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُكَ يَا رَبِّ"(١).

يأمر الله عباده بدعائه ويعدهم بالإجابة! وأي كرم هذا! فكيف يشك الداعي أو يستبطئ الإجابة؟.

وللدعاء أدآب لا بد أن تراعى، ومنها الثقة بالإجابة. فمن الثقة في الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في استجابة الدعاء: أن يحرص المسلم على الصبر وعدم الاستعجال، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَفِي هَذَا الْحَدِيث أَدَبٌ مِنْ آدَابِ الدُّعَاءِ وَهُوَ أَنَّهُ يُلَازِمُ الطَّلَبَ وَلَا يَيْأَسُ مِنَ الْإِجَابَةِ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الِانْقِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ وَإِظْهَارِ الِافْتِقَارِ"(٣).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَمِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تَمْنَعُ تَرَتُّبَ أَثَرِ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ: أَنْ يَسْتَعْجِلَ الْعَبْدُ، وَيَسْتَبْطِئَ الْإِجَابَةَ، فَيَسْتَحْسِرُ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ بَذَرَ بَذْرًا أَوْ غَرَسَ غَرْسًا، فَجَعَلَ يَتَعَاهَدُهُ وَيَسْقِيهِ، فَلَمَّا اسْتَبْطَأَ كَمَالَهُ وَإِدْرَاكَهُ تَرَكَهُ وَأَهْمَلَهُ"(٤).

إن الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى واليقين بالإجابة من أعظم الشروط لقبول الدعاء، مع اليقين بأن الله على كل شيء قدير؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول للشيء كن فيكون، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، وأنه بيده الخير كله.

ولقد اهتم الأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ وأتباعهم من عباد الله الصالحين بالدعاء، فاستجاب الله دعاءهم؛ لأنهم كانوا على ثقة ويقين باستجابة الله لهم، وهذا كثير في القرآن والسنة، ومن ذلك:

---

(١) تفسير ابن كثير (١٥٣/٧).
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٣٤٠).
(٣) فتح الباري لابن حجر (١٤١/١١).
(٤) الجواب الكافي (ص١١).

● آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، فغفر الله لهما كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧].

● نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الصافات:٧٥-٧٦].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام، أول الرسل، أنه لما دعا قومه إلى الله، تلك المدة الطويلة فلم يزدهم دعاؤه، إلا فرارًا، أنه نادى ربه فقال:** ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ **فاستجاب الله له ومدح تعالى نفسه فقال:** ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ **لدعاء الداعين، وسماع تبتلهم وتضرعهم، أجابه إجابة طابق ما سأل، نجاه وأهله من الكرب العظيم"**[١].

● زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٣٨-٤٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"لَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا** عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ **أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُ مَرْيَمَ** عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ **فَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ، وَفَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ، طَمِعَ حِينَئِذٍ فِي الْوَلَدِ، وَإِنْ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ ضَعُفَ وَوَهَنَ مِنْهُ الْعَظْمُ، وَاشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْبًا، وَإِنْ كَانَتِ امْرَأَتُهُ مَعَ ذَلِكَ كَبِيرَةً وَعَاقِرًا، لَكِنَّهُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ سَأَلَ رَبَّهُ وَنَادَاهُ نِدَاءً خفيا، وَقَالَ:** ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ **أَيْ: مِنْ عِنْدِكَ** ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ **أَيْ: وَلَدًا صَالِحًا** ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾

---

(١) تفسير السعدي (ص٧٠٥).

أَيْ: خَاطَبَتْهُ الْمَلَائِكَةُ شِفَاهًا خِطَابًا أَسْمَعَتْهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مِحْرَابِ عِبَادَتِهِ، وَمَحَلِّ خَلْوَته، وَمَجْلِسِ مُنَاجَاتِهِ، وَصَلَاتِهِ. ثُمَّ أَخْبَرَ عَمَّا بَشَّرَتْهُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ أَيْ: بِوَلَدٍ يُوجَدُ لَكَ مِنْ صُلْبِكَ اسْمُهُ يَحْيَى، قَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ يَحْيَى لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْيَاهُ بِالْإِيمَانِ"(١).

فزكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ قد عرض ضعفه على القويّ، فهو واهِنُ العظم، أشيب الرأس، وامرأته –فوق كلِّ ذلك– عاقرٌ لا تُنجب، وهو يَطلب الولد! إنَّ أيَّ شخص غير واثق بالله لو سمع أنَّ شيخًا كبيرًا لا ينجب، وامرأته عاقرٌ، يدعو الله الولد سيقول: لقد جُنَّ الشيخ وربِّ الكعبة! أو قد يسخر منه، ونسي أنَّ الله لا يعجزه شيء، بكن فيكون، بلمح البصر يستبدل الحال، لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

● محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال:٩-١٠].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: " أَيْ: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اَللَّهِ عَلَيْكُمْ، لَمَّا قَارَبَ اِلْتِقَاؤُكُمْ بِعَدُوِّكُمْ، اَسْتِغِثْتُمْ بِرَبِّكُمْ، وَطَلَبْتُمْ مِنْهُ أَنَّهُ يُعِينُكُمْ وَيَنْصُرُكُمْ ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وَأَغَاثَكُمْ بِعِدَّةِ أُمُورٍ: مِنْهَا: أَنَّ اَللَّهَ أَمَدَّكُمْ ﴿بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ أَيْ: يَرْدُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَيْ: إِنزَالَ المَلَائكَةِ ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ أَيْ : لِتَسْتَبْشِرَ بِذَلِكَ نُفُوسُكُمْ، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ وَإِلَّا فَالنَّصْرُ بِيَدِ اَللَّهِ، لَيْسَ بِكَثْرَةِ عَدَدٍ وَلَا عُدَدٍ... ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يُغَالِبُهُ مُغَالِبٌ، بَلْ هُوَ اَلْقَهَّارُ اَلَّذِي يَخْذُلُ مِنْ بَلَغُوا مِنْ اَلْكَثْرَةِ وَقُوَّةِ اَلْعَدَدِ وَالْآلَاتِ مَا بَلَغُوا. ﴿حَكِيمٌ﴾ حَيْثُ قَدَّرَ اَلْأُمُورَ بِأَسْبَابِهَا، وَوَضَعَ اَلْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا"(٢).

إن الثقة بالله في استجابة الدعاء تجعل المسلم يدعو ربه وهو يعلم أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يعجزه شيء، ولا يستعصي عليه شيء قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٧).
(٢) تفسير السعدي (صـ٣١٦).

﴿ نماذج قرآنية للواثقين بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴾

الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هي صفة من صفات الأنبياء والمرسلين والمؤمنين، تحلوا بها فحفظهم الله ونصرهم، وكان حقاً على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرضيهم؛ لأنهم امتلؤوا ثقةً، وتوكلاً، وإنابةً، وإخلاصاً له جَلَّ وَعَلَا.

أولاً: ثقة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

جادل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قومه، وحاجهم في عبادة الأصنام من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حيث كانت حججه تُظهِرُ مدى قوته وثقته بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يكسر أصنامهم حتى ما أبقى إلا كبيرها، فما كان منهم إلا أن كادوا له، قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨].

فكانت النتيجة أن نصره الله، وكفاه شر الكافرين، فما أن قال حسبي الله ونعم الوكيل ،حول الله النار الحارقة برداً وسلاماً: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء:٦٩]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "**كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**".(١)

فلثقة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أيده الله بنصره وحفظه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ثانياً: ثقة نبي الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

فرَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ومن معه من المؤمنين بأمر الله من كيد فرعون، فتبِعَهُ فرعون وجنوده بغياً، ووصلوا إليهم: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [الشعراء:٦١].

ونظر أصحاب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حولهم، فإذا بالبحر من أمامهم، والعدو من خلفهم، لكن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة في نصر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومعونته، فقلبه واثق بربه، متيقن من عونه، ومتأكد من النجاة، وإن كان لا يدري كيف يكون ذلك، فقال لهم بلسان الواثق المطمئن إلى حفظ الله له ونصره لأوليائه المؤمنين: ﴿ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦٢].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٥٦٤).

وموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يقل (كلا) اعتماداً على قوته واحتياطه للأمر، إنما قالها اعتماداً على ربه، كان على ثقة أن الفرج والخلاص من هذا المأزق آتٍ لا محالة، ثم جاء الفرج من رب رحيم إلى موسى، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء:٦٣]، فلما ضرب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعصاه البحر انفلق وانحصر الماء على الجانبين، ﴿كُلُّ فِرْقٍ﴾ أي: كل جانب ﴿كَالطَّوْدِ﴾ يعني: الجبل العظيم.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وَقَامَ الْمَاءُ عَلَى حَيْلِهِ كَالْحِيطَانِ، وَبَعَثَ اللَّهُ الرِّيحَ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ فَلَفَحَتْهُ، فَصَارَ يَبَساً كَوَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:** ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾**"**[(١)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ **أَيْ: أَنْجَيْنَا مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ مَعَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ فَلَمْ يَهْلَكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَأُغْرِقَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا هَلَكَ"**[(٢)].

رابعاً: ثقة أم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

ضربت أم موسى أروع الأمثلة على الثقة بالله، فعندما خافت على ابنها من بطش فرعون عندما تجبر على بني إسرائيل بقتل أولادهم، فماذا فعلت؟ اطمأنت لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها، وألقت ابنها في البحر رغم قساوة هذا الفعل على قلبها، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فَإِنَّ فِعْلَهَا هَذَا هُوَ عَيْنُ ثِقَتِهَا بِاللَّهِ تَعَالَى، إِذْ لَوْلَا كَمَالُ ثِقَتِهَا بِرَبِّهَا لَمَا أَلْقَتْ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا فِي تَيَّارِ الْمَاءِ، تَتَلَاعَبُ بِهِ أَمْوَاجُهُ وَجَرَيَانُهُ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي أَوْ يَقِفُ"**[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٤٤/٦).
(٢) المصدر السابق (١٤٥/٦).
(٣) مدارج السالكين (١٤٢/٢).

فبشرها بأنه سيرده عليها، لأنها وثقت به، وبشرها بأنه سيسلم من كيدهم، وسيجعله الله رسولاً، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ اَلْبَشَائِرِ اَلْجَلِيلَةِ، وَتَقْدِيمِ هَذِهِ اَلْبِشَارَةِ لِأُمِّ مُوسَى؛ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهَا، وَيَسْكُنَ رَوعُهَا، فَإِنَّهَا خَافَتْ عَلَيْهِ، وَفَعَلَتْ مَا أُمِرَتْ بِهِ، أَلْقَتْهُ فِي اَلْيَمِّ**"(١).

ثم جاء الفرج وأبدلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بعد خوفها أمناً، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:١٣].

أم موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ حين وثقت بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وكان قلبها مربوطاً بالله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وموقناً به بأنه رادٌّ لها ابنها؛ ألقت بولدها في اليم، ومن يطيق ذلك! فلولا عظم ثقتها بربها ما استطاعت فعل ذلك، فجزاها الله بأن قَرَّ عينها بعودته إليها، بل ورفع مكانته ومنزلته بأن جعله رسولاً كريماً.

فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجاً، وبعد كل ضيق مخرجاً.

خامساً: ثقة آسيا زوجة فرعون:

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [التحريم:١١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ صَدَّقُوا اَللَّهَ وَوَحَّدُوهُ، اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ اَلَّتِي آمَنَتْ بِاَللَّهِ وَوَحْدَتْهُ، وَصَدَّقَتْ رَسُولَهُ مُوسَى، وَهِيَ تَحْتَ عَدُوٍّ مِنْ أَعْدَاءِ اَللَّهِ كَافِر، فَلَم يَضُرُّهَا كُفْرُ زَوْجِهَا، إِذْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً بِاَللَّهِ، وَكَانَ مِنْ قَضَاءِ اَللَّهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ لَا تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، وَأَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ، إِذْ قَالَتْ: (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)، فَاسْتَجَابَ اَللَّهُ لَهَا فَبَنَى لَهَا بَيْتًا فِي اَلْجَنَّةِ**"(٢).

وذلك لأنها جاهدت في الله حق جهاده، حتى لاقت ربها وهي آمنة مطمئنة ، فقد دخل في قلبها من نور الإيمان الشيء العظيم حتى أراها الله بيتها في الجنة، أبصرت بيتها في الجنة بأم عينيها كرما لها لصدقها مع ربهم ولثقتها به سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

---

(١) تفسير السعدي (صـ٦١٢).

(٢) جامع البيان (٢٣/٤٩٩).

ضحكت رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا وهي تعذب أشد العذاب، **"فَضَحِكَتْ حِينَ رَأَتْ بَيْتَهَا فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ فِرْعَوْنُ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ جُنُونِهَا! إِنَّا نُعَذِّبُهَا وَهِيَ تَضْحَكُ، فَقُبِضَ رُوحُهَا"**(١).

ارتفعت روحها عند باريها بعد أن أبصرت بيتها في الجنة بأم أعينها وجعلها الله من أفضل نساء العالمين لقوة إيمانها وصدقها ويقتها بالله جَلَّجَلَالُهُ.

قال السعدي رَحِمَهُٱللَّهُ: **"فَوَصَفَهَا اَللَّهُ بِالْإِيمَانِ وَالتَّضَرُّعِ لِرَبِّهَا، وَسُؤَالِهَا لِرَبِّهَا أَجَلَّ اَلْمَطَالِبِ، وَهُوَ دُخُولُ اَلْجَنَّةِ، وَمُجَاوَرَةُ اَلرَّبِّ اَلْكَرِيمِ، وَسُؤَالِهَا أَنْ يُنْجِيهَا اَللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَعْمَالِهِ اَلْخَبِيثَةِ، وَمِنْ فِتْنَةِ كُلِّ ظَالِمٍ، فَاسْتَجَابَ اَللَّهُ لَهَا، فَعَاشَتْ فِي إِيمَانٍ كَامِلٍ، وَثَبَاتٍ تَامٍّ، وَنَجَاةٍ مِنَ اَلْفِتَنِ"**(٢).

سادساً: ثقة هاجر عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ:

فأما هاجر عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ فقد تركها زوجاها وحيدة مع رضيعها في وادٍ غير ذي زرع، صحراء خالية من الماء والزرع وليس فيه بشر، وحيدة مع ابنها الرضيع، تركها وذهب، فنادته لمن تتركنا هنا؟ ولا يجيبها ولا يلتفت إليها، وتكرر عليه السؤال، ولا يجيب ولا يلتفت إليها، فقالت له: آالله أمرك بهذا؟ قال: نعم، فقالت: إذاً لا يضيعنا.

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/٢٠٣).

(٢) تفسير السعدي (صـ٨٧٤).

﴿ الخاتمة ﴾

الثقة بالله تجعل العبد راضيًا به، والثقة بالله تعالى هي حصن المؤمنين من الشيطان، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٨]، فمن لا يثق بالله تتخطفه وساوس الشيطان.

والثقة بالله هي ركيزة التوكل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يستطيع أن يتوكل عليه من لا يثق به تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فعلى المسلم أن يكون واثقاً بالله، واثقاً بحفظه له إذا كان حافظاً لحدوده، واثقاً بأنه كافيه ورازقه، ومثيبه على أعماله الصالحة، وأنه ناصر دينه، وأوليائه.

وما أحوجنا إلى أن نجدد الإيمان في قلوبنا وأن نثق بربنا جلَّ في علاه، وكيف لا نثق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو بيده أمرنا وهو الكريم، الرفيق، اللطيف، الرحيم، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أرحم من أمهاتنا بنا.

وفقنا الله وإياكنَّ إلى كل خير، وصرف عنا وعنكنَّ كل سوء ومكروه، ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قوة الصدق به والاعتماد عليه وحسن الظن به ﷻ والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.